المحاضرات (٣)

مستقبل اللغة العربية

أ.د. أحمد بن محمد الضبيب

الرياض ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م الطبعة الأولى

ⓒ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الضبيب، أحمد بن محمد

مستقبل اللغة العربية. / أحمد بن محمد الضبيب .- الرياض ، ١٤٣٥ هـ

٥٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٥-٢-٩٠٥٥٥-٦٠٣-٩٧٨

١. اللغة العربية   أ. العنوان

ديوي ٤١٠   ١٤٣٥/٤٦٤٤

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٤٦٤٤

ردمك: ٥-٢-٩٠٥٥٥-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

انطلاقا من اهتمام مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، بدراسة أوضاع اللغة العربية وأحوالها، وتحقيقا للأهداف التي يسعى المركز لتحقيقها، وحرصا منه على تنويع مناشطه وفعالياته والشرائح المستهدفة، فقد أقر مجلس الأمناء في المركز برنامجا علميا وضعته الأمانة العامة تحت اسم : (برنامج المحاضرات العلمية) تُقَدَّم من خلاله محاضرات نوعية ومتميزة، يلقيها علماء ومتخصصون من العرب وغيرهم.

ويهدف المركز من خلال برنامج المحاضرات العلمية إلى تسليط الضوء على موضوعات لغوية مختارة، وعلى قضايا وإشكالات تمس الهوية اللغوية العربية، ومعالجتها بطرح علمي معاصر، للخروج بمشروعات علمية متنوعة تساهم في خدمة اللغة العربية، وتعزيز محلّها بين اللغات.

ويعقد المركز برنامج المحاضرات في أماكن متفرقة، يدعى إليها المتخصصون في اللغة، والباحثون والمهتمون، وطلاب الدراسات العليا، ويتضمن البرنامج إلى جانب المحاضرة حلقة نقاش متخصصة في اهتمام المحاضِر، ومسيرته العلمية، والآفاق البحثية التي رادها، والتي يوصي بارتيادها.

ويسرنا أن نضع بين أيديكم نص المحاضرة التي قدمها معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب، بعنوان: «مستقبل اللغة العربية» المعقودة في ١٤٣٥/٨/٢هـ - ٢٠١٤/٥/٣١م، في قصر المؤتمرات بمدينة فاس بالتعاون مع مركز مبدع، واثقين بأنكم ستجدون فيها وفرا علميا، ومفاتيح لمشروعات علمية وعملية.

الأمانة العامة

مستقبل اللغة العربية

يعد موضوع مستقبل اللغة من أهم موضوعات علم اللغة الاجتماعي، التي تقيس حياة اللغات وحركتها بين الناس وانتشارها، أو ضمورها وانكماشها، أو موتها وانقراضها، وهنالك مؤلفات تتناول مستقبل بعض اللغات الشهيرة المنتشرة والمسيطرة في الوقت الحاضر كاللغة الإنجليزية مثلا. ويقوم هذا العلم بدراسة العوامل والمؤثرات التي تنتاب اللغة فتزيد في انتشارها أو تسهم في موتها. وهذه المحاولة التي نقدمها في هذا البحث هي محاولة لتطبيق بعض المعايير، التي يستعملها علم اللغة الاجتماعي في هذا الموضوع ، على اللغة العربية، مع أننا نستصحب الحذر دائما في إطلاق الأحكام لما نعرفه من اختلاف طبيعة اللغة العربية عن اللغات الأخرى من جهة، ولما هو مؤكد من أن اللغة – أي لغة – قد تتعرض في مسيرتها إلى عوامل ومتغيرات عديدة تؤثر في بنيتها الداخلية ،كما تؤثر في حركتها في المجتمع الذي تنتمي إليه.

ولعل من المناسب أن نبدأ هذا البحث باستعراض لمسيرة اللغة العربية عبر تاريخها الطويل في العصور المختلفة، وما واجهته في هذه المسيرة الطويلة من تقلبات، لما نستشعره من أن حياة اللغة نهر ممتد عبر العصور، يؤثر فيه الماضي في المستقبل، وقد تتشابه فيه الظروف والأحوال، وتتكرر فيه المواقف، ضمن مراحل مختلفة، تمر بها تدفقات هذا النهر العظيم.

مسيرة اللغة العربية

يمكن أن نقسم أحقاب اللغة العربية فيما نحن بصدده من تثاقف اللغة العربية مع أخواتها الساميات أو غيرها من اللغات إلى الآتي:

١-حقبة اللغة العربية القديمة:

وهي حقبة لا نعرف عن واقع اللغة فيها الكثير، إذ هي مرحلة النقوش التي لا تحمل نصوصا أدبية، ولا تفيد كثيرا في التعرف على الأداء الفعلي للغة، ومدى فاعليتها في المجتمع، غير أنها تعطي مؤشرات على موقع اللغة العربية (الشمالية تحديدا) بين أخواتها الساميات. وبهذا الاعتبار يرى الباحثون أن كتابة النقوش في بلاد العرب الشمالية كانت-أول الأمر- باللغة النبطية، التي لم تكن لغة الكتابة في بعض النصوص وحسب، وإنما كانت أيضا لغة التعبير .ويمثل ذلك نص أم الجمال الأولى المدون سنة ٢٥٠م، وكان شاهد قبر، وهو نص مكتوب بلغة النبط مع أن صاحبه عربي[١]. وربما نستنتج من ذلك أن النبطية في تلك الفترة كانت تزاحم العربية، أو كانت لغة التعليم والإدارة .وأن العربية لم تستكمل قوتها كي تستقل بالكتابة والتعبير، غير أن هذه المرحلة ما لبثت أن بدأت تنقشع في نقوش لاحقة كانت العربية لغتها في الكتابة والتعبير، دون أن تتحرر من النبطية تحررا كاملا، كنقش النمارة الذي يؤرخ بسنة ٥١٢ م، وهو نقش نبطي عربي وفيه يستعمل الكاتب ألفاظا وجملا عربية، بين الألفاظ والجمل النبطية، ويرى جواد علي أن ذلك يشير إلى أن العرب «كانوا على أبواب نهضة لغوية، وأنهم كانوا قد شعروا بضرورة استعمال العربية في كتاباتهم فأدخلوا تلك الألفاظ والجمل العربية في هذا النص النبطي، وقد كان هذا الاستعمال المرحلة الأولى من مراحل استعمال العربية في الكتابة بدلا من لغة النبط»[٢].

وتأتي المرحلة الأخيرة التي تتحرر فيها النقوش من التأثير النبطي باكتشاف نقش حران المؤرخ سنة ٥٦٨ م ونقش أم الجمال الثانية الذي يرجع الباحثون تأريخه إلى القرن السادس الميلادي، والذي تقترب لغته من العربية القرآنية ويتحرر من النبطية تحررا كبيرا[٣].

٢-حقبة العربية الجاهلية:

وهي الحقبة التي وصلتنا منها نصوص عربية، شعرية في الغالب، وهي نصوص تلقي ضوءا ساطعا على حالة اللغة العربية في المرحلة الجاهلية. ومما لا شك فيه أن العربية في هذه الحقبة كانت لغة ناضجة، وأن التأثير الأجنبي فيها لا يعدو اقتراض بعض الكلمات الأجنبية من بعض اللغات السامية كالآرامية والحبشية، أو من بعض اللغات المجاورة كالفارسية، مع مقترضات لاتينية وإغريقية. وكانت الجزيرة العربية تتسع لعدد كبير من اللهجات، التي يعدها علماؤنا القدماء لغات. أما اللغة العربية الجنوبية فقد كانت تختلف اختلافا واضحا عن العربية الشمالية حتى لتعد لغة قائمة بذاتها.

٣-الحقبة الإسلامية:

يعد نزول القرآن الكريم باللغة العربية أعظم حدث في تاريخ هذه اللغة. إذ جعل منها لغة مقدسة. وبهذا انتقلت من كونها لغة للعرب لتكون لغة للمسلمين جميعا، يتسابقون إلى تعلمها والعناية بها، سعيا إلى فهم آيات الكتاب الكريم، فاكتسبت بذلك اعتبارا لم يكن لها في سابق الزمان، وهو اعتبار رافقها طوال مسيرتها التاريخية. ومكنها من أن تكون لغة الحضارة.

وقد أضاف القرآن الكريم إلى اللغة إضافات جمة، تركيبية ودلالية، وغيرها، مما أغنى هذه اللغة، وهيأها لحمل رسالتها الحضارية فيما بعد.

لقد اقتضت الدعوة الإسلامية الخروج لنشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية، وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين سببا في حمل اللغة العربية إلى بيئات لم تعرفها من قبل، إلى جانب بيئات كانت تعرفها. فانتشرت العربية بشكل ودي بين أبناء البلاد المفتوحة، إما بفعل اعتناق الإسلام من قبل أبناء هذه البلدان، أو بدواعي الحاجة للتفاهم مع الفاتحين، الذين لم يكونوا جيوشا عسكرية وحسب، وإنما كانوا مجموعات بشرية مهاجرة، استوطنت البلدان المفتوحة، التي تحولت بمرور الزمن إلى بلدان إسلامية، واستتبع ذلك إنشاء المساجد، التي كانت تنشر الدعوة وأفكار الدين الجديد، وكانت بمثابة مدارس تلقى فيها الدروس العلمية بمختلف المستويات، وبذلك كان انتشار العربية سريعا، وكان تعلمها ضرورة. ويبدو أن العرب الفاتحين في بداية الأمر لم يتبنوا سياسة لغوية صارمة كما يفعل المستعمرون الغربيون، وإنما تركوا الأمور تسير بشكل طبيعي، يدل على ذلك تركهم الدواوين الحكومية في البلدان المفتوحة تدار من قبل السكان المحليين بلغاتهم المختلفة، إلى أن جاء عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي طبق أول سياسة لغوية في تاريخ العرب بتعريب الدواوين في بلاد الخلافة الأموية، و إصدار العملة الإسلامية، وبذلك يكون قد خطا الخطوة الأساسية في جعل اللغة العربية لغة للدولة. مما مكن للغة العربية، وجعلها لغة الحياة في بلدان الخلافة. وبعد زوال الدولة الأموية، التي كانت عربية الوجه والتوجه لم يخب نشاط اللغة العربية بل استمرت العناية بها أكثر من ذي قبل، و اكتسبت في هذه المرحلة عناية العلماء بجمعها وتنظيمها وتقعيد قواعدها، وكان القرن الرابع الهجرى عصر ازدهار اللغة العربية نثرا وشعرا، تبعا لازدهار الحضارة العربية الإسلامية التي كانت اللغة قاطرتها الرئيسة.

من الواضح أن العربية في مهدها الأول كانت تتكون من عدد من اللهجات التي تختلف في الفروق بينها كثرة وقلة، وعندما خرج العرب بفروقهم اللغوية إلى خارج هذه الجزيرة حملوا معهم هذه الفروق، لكن سياسة

الخليفة عمر بن الخطاب (حكم بين١٣ هـ-٢٣ هـ=٦٣٥-٦٤٤م) التي قضت بعدم سكناهم بين سكان البلاد المفتوحة، حتى لا يذوبوا بين أبناء تلك الشعوب، وإنشائه معسكرات خاصة لهم في العراق ومصر وغيرها من بلدان الفتوح، ساعد إلى حد كبير على جمع شملهم و توحيد لغتهم، ونشوء لغة بدوية مشتركة بينهم «وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى»، كما يلاحظ ذلك يوهان فك [٤].

ومن المتوقع أن لا يثقف سكان البلاد المفتوحة اللغة العربية- وبخاصة في المراحل المبكرة من الفتح العربي- وأن يأخذ الأمر مدة تستوعب أكثر من جيل يجعل أبناء هذه البلدان على قدم المساواة مع العرب الأصلاء. وفي مثل هذه المراحل لابد أن هنالك نوعا من اللغة المختلطة لغة تفاهم بين العرب الفاتحين وبين السكان الأصليين، ولا بد أن عددا كبيرا من الألفاظ الأجنبية قد دخلت العربية في هذا العصر وما بعده، بفعل حاجة العرب إلى كثير من الكلمات، التي لم يكن لها مقابل في لغتهم الأصلية. كما أن العامية كانت تشق طريقها بقوة منذ العصر الأموي، حتى تكلم بها العلماء وفصحاء العربية في ذلك العصر. ومن أمثلة ذلك اتهام الشاعر مروان بن أبي حفصة حمادا الراوية - في مجلس الوليد بن يزيد-باللحن «وكان (حماد) من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها، وأنسابها ولغاتها» كما يقول صاحب الأغاني[٥]، فيرد عليه حماد دافعا التهمة بقوله: «يابن أخي، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها» [٦].

في مثل هذه الأجواء التي كانت اللغة العربية فيها عرضة للاختراق من نظم اللغات الأخرى السائدة في تلك البيئات. واستشراء العامية، ظهر القلق لدى العلماء و المفكرين، والخوف من دروس رسوم هذه اللغة واستعمالاتها، وتغير دلالاتها والعبث في تراكيبها. خاصة وأنها في تلك الفترة تحمل واجب التفسير الأقرب للقرآن الكريم والحديث النبوي، ومأثور العرب من شعر ونثر. وقد دق ظهور اللحن والروايات التي تروى عن فشوه أول الأمر بين

عرب الجزيرة العربية ناقوس الخطر للتنبيه عن حساسية وضع اللغة، والتفكير الجدي في مستقبلها، فظهرت فكرة التقعيد للفصحى على يد الإمام علي بن أبي طالب أو أبي الأسود الدؤلي [٧]،وتبع ذلك جهود حثيثة لجمع اللغة من أفواه العرب الأصليين المشهود لهم بالبعد عن مناطق التأثر الحضاري، الذي يفسد اللسان، وقامت جهود أخرى لضبط اللغة، وجدل واسع حول تلك القواعد، وما يندرج تحتها من أساليب أو استعمالات. ثم اصطلح القوم على أن لا يحتج - في تفسير القرآن والحديث و الشعر القديم-بالنصوص التي تتجاوز القرن الثاني الهجري في المدن، وتتجاوز القرن الرابع الهجري في البادية، كما لا تصاغ القواعد ولا تصدر الأحكام بفصاحة الكلمة أو التعبير إذا كان ذلك لاحقا لتلك المدة المحددة. وبذلك أغلق العلماء باب الفصاحة في وجه النصوص الأدبية التي نتجت بعد هذه المدة الزمنية، وعد ما بعدها من نصوص مولدا ينتمي إلى حقبة اللغة الهجينة، التي لا يحتج بما تفرزه من استعمالات جديدة، أو خروج عن القاعدة المعيارية، و إن نطق به أشهر الكتاب و الشعراء.

والواقع أن هذه اللغة المولدة قد أمدت اللغة بكثير من المفردات والاستعمالات التي كانت أساسا في ازدهار اللغة، وجعلها وافية بحاجات الحضارة الجديدة، التي لم تكن مألوفة لدى العرب القدماء. و لو ألفت لهذه المادة اللغوية معاجم في تلك العصور لكانت معاجم ضخمة لا تقل أحجامها عن معاجم العربية الفصحى. وقد قامت كتب المعرب والدخيل بالإشارة إلى كثير من الألفاظ المعربة و الدخيلة، ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يمتد إلى الاستعمالات والتعبيرات والكنايات والمتلازمات اللغوية، التي كانت نتاجا خالصا لعربية تلك العصور المولدة.

٤-اللغة العربية بعد سقوط بغداد:

في سنة ٦٥٦هـ غزا التتار بغداد وقضوا بذلك على الدولة العباسية التي كانت في حالة ضعف شديد، والحق أن انفراط عقد الدولة العربية

قد سبق ذلك بأكثر من مائتي عام حين استقلت أجزاء كثيرة من الدولة العباسية، وأصبح الخليفة في بغداد لا يكاد يحكم غيرها، ومما لا شك فيه أن اللغة قد استمرت في مسيرتها التي تأثرت بشكل أعمق باللغات الأجنبية، التي عايشتها قبل هذا الغزو كالفارسية التي عادت لغة للحكم والسياسة والشعر والأدب منذ العهد الساماني (٢٦١-٣٨٩هـ) حتى أفتى بعض علماء الفرس بجواز الصلاة باللغة الفارسية[٨] المتأخرة، ومع ما أصاب الفصحى من ركود نسبي بعد فترة الغزو المغولي، إلا أنها وجدت في عصور الولاة والعصر المملوكي انتعاشا يعوض بعض ما فقدته في البيئات العلمية التقليدية. وهنا يجب أن يلحظ أن لا علاقة بين انتعاش الدراسات اللغوية وانتعاش اللغة اليومية، إذ أن مما لا شك فيه أن العربية الفصحى قد اختفت من الاستعمال اليومي منذ القرن الثاني في مدن الثقافة الإسلامية، كما تأثرت بالمولدة تأثرا واضحا في البوادي العربية، وبخاصة تلك التي كانت قريبة من الأمصار. وتنقل كتب التراث روايات مختلفة لعلماء كانوا يخاطبون تلاميذهم بلغة العامة ولا يتكلفون الإعراب كأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، الذي روي عنه قوله لتلاميذه إذا قاموا له: «أقعدوا..أقعدوا» بفتح الهمزة.[٩]

وبدا الاختلال في لغات الخواص وعامة المثقفين منذ عصر مبكر، فظهرت لذلك كتب التصحيح اللغوي ابتداء من الكتاب المنسوب للكسائي(ت ١٨٩ هـ) بعنوان «لحن العوام» وكتاب « لحن العامة» للفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وكتاب ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت ٢١٠هـ)، ومن أشهر هذه كتاب الحريري « درة الغواص في أوهام الخواص «وما جاء بعده من مؤلفات عديدة عبر عصور تاريخ الثقافة الإسلامية، وقد عد عبد العزيز مطر ٣٤ كتابا من هذا النوع حتى القرن السادس الهجري.[١٠]، لكن بعض هذه المؤلفات لم تخل أيضا من نقد وجهه إليها بعض العلماء، فصححوا استعمالات العامة، ومن هذه الكتب، كتاب ابن أبي السرور المصري بعنوان «المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغة العرب» وكتب محمد بن إبراهيم

بن الحنبلي(ت ٩٧١) التي رد فيها على الحريري وغيره في موضوع لحن العوام وهي: «الدر الملتقط في تبيين الغلط» و «عقد الخلاص في نقد كلام الخواص» و «بحر العوام فيما أصاب فيه العوام»، و «سهم الألحاظ في وهم الألفاظ» والكتاب الأول منها مفقود. .

ومن المعروف أن اللغة العربية قد أصابها الوهن في الاستعمال منذ منتصف القرن السابع الهجري، فلم تعد لغة مطلوبة على المستوى الثقافي العام، نجد ذلك ممثلا في شكوى ابن منظور (ت ٧١١هـ) في مقدمة كتابه «لسان العرب» فهذا الكتاب الضخم الذي اصطفى المؤلف مادته من ستة مصادر لغوية كبرى، صنعه في وقت لم تكن الفصحى رائجة في زمنه. فهو يقول: «حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون»[١١]. ولسنا نظن الشكاية هنا تتعلق بالعامة فقط وإنما تطاول المثقفين من الخاصة.

ثم جاء العصر التركي ليستمر الوهن مرافقا لهذه اللغة، مع محاولة تتريك اللغة والثقافة، حتى ليعد العصر التركي عصرا مظلما من الناحية اللغوية، بسبب السياسة اللغوية التي فرضت اللغوالتركية على رعايا الدولة العثمانية. وتبع ذلك العصر الحديث ابتداء من حملة نابوليون على مصر (١٧٩٨م)، ودخول الاستعمار إلى مصر سنة ١٨٨٢م،ثم إلى البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى، ليزداد الأمر سوءا بفرض لغة المستعمر والترويج لها، ومحاولة إلحاق البلاد العربية بركب ذلك المحتل تربويا واقتصاديا ولغويا.

ومع ذلك فقد استعادت العربية الفصيحة المكتوبة ألقها في بداية القرن العشرين على أيدي الرواد الكبار من الكتاب والشعراء، الذين

تفتحت عيونهم على التراث العربي القديم فألموا به إلماما واسعا، وبدا لديهم الحرص على التجديد، والظهور بلغة عصرية تعتمد على الأصول التراثية. ولقد شكل عصر الإحياء وعيا قوميا، وانتفاضة عربية لغوية في وجه المستعمر، فتطورت اللغة تطورا ملحوظا، تمثل في بزوغ لغة الإعلام التي أشاعت الفصحى بين المثقفين، وساعدت على الترويج لها بين الناس، مع كونها تأثرت تأثرا كبيرا باللغات الأجنبية، لا على المستوى المعجمي باقتراض الآلاف من المفردات، وإنما على المستوى التركيبي، واستعارة التعبيرات والعبارات الأجنبية الجاهزة، عن طريق الترجمة السريعة لها، الأمر الذي هدد اللغة تهديدا مباشرا، و أقحم تغييرات جذرية في بنائها اللغوي.

ثم يأتي بعد ذلك عصر العولمة حيث تنهار الحواجز بين الأمم، وتتحرك قوافل التجارة والمعلومات، والبشر، لا تحدها الحدود ولا تقف دونها السدود، فتصبغ العالم بصبغة واحدة، في العادات والسلوكيات والملبس والمأكل، ومن الطبيعي أن تكون اللغة إحدى الجوانب المستهدفة، التي لا تتغير تغيرا طبيعيا وحسب وإنما تستهدف وتزاحم، ويغير مجراها في المجتمع قسريا، لكي تحل محلها لغة العولمة الأولى، التي تحمل ثقافتها، وتخدم مصالحها، وتهيمن باسمها وهي اللغة الإنجليزية. والواقع أن الارتباط بين العولمة واللغة الإنجليزية ارتباط عضوي أو كما يصفه جرادول « ارتباط معقد فكما أن العولمة قد شجعت على انتشار اللغة الإنجليزية فإن الإنجليزية قد شجعت العولمة».[١٢]

فهل يعني استفحال التأثير العولمي اللغوي اغتيال اللغة العربية مستقبلا واختفائها من الوجود. أم أن الفرصة ما زالت سانحة للغة العربية الفصيحة كي تثبت أقدامها وتنطلق في صراعها الأبدي مع العامية واللغة الأجنبية.

لا بد لنا قبل الإجابة على هذا السؤال من أن ننطلق من بعض مسلمات البحث اللغوي الاجتماعي، الذي يستقري أحوال اللغات المختلفة ويستقي

منها أسسا وقواعد عامة تنطبق -غالبا- على معظم اللغات، وسوف نتحدث أولا عن أنواع الاتصال اللغوي بين اللغات، ثم عن المؤثرات في ازدهار اللغات وموتها، كي ننطلق إلى لحديث عن مستقبل اللغة العربية .

الاتصال اللغوي

نعني بالاتصال اللغوي احتكاك لغة مع أخرى، واستفادة المتحدثين والكتاب في الجانبين أو أحدهما من إحدى اللغتين. والاتصال بين اللغات منذ القدم كان مصدرا من مصادر التثاقف الحضاري، وإغناء اللغات عن طريق الاقتراض، وبخاصة في المفردات أو الكلمات التي لا وجود لها في قاموس بعض اللغات، ويرى اللغويون الأنثروبولوجيون أن اللغة بذلك تمثل آلة عالية المرونة تسجل التغيرات في المجتمع أكثر من أي عنصر ثقافي آخر[١٣].

والباحثون الذين درسوا أحوال الاتصال بين اللغات يذهبون إلى أن من مستويات هذا الاتصال نوعين وهما النوعان اللذان يدخلان في صميم موضوعنا:

١- مستوى يطلقون عليه الانتقال اللغوي Language switch وهو مستوى تتساوى فيه أهمية اللغتين عند المستعمل، في مجتمع تسود فيه لغة غازية أو ذات نفوذ، ولغة أخرى ضعيفة أو مستهدفة، وفي هذه الحالة يختار المستعمل أي لغة منهما للتعبير عما في نفسه، وينتقل من لغة إلى أخرى بدرجة متساوية. ويخلط بينهما أحيانا، والانتقال اللغوي يمثل نوعا من الثنائية اللغوية في المجتمع bilingualism، وهذه المرحلة هي مرحلة يتعاظم فيها تدريجيا الميل إلى اللغة القوية، وبخاصة بين الأجيال الشابة التي تجد في اللغة الوافدة إغراءات جاذبة ومكاسب اقتصادية أو اجتماعية، أو تكون وسيلة من وسائل التعلم، وفي الغالب يسلم هذا الوضع إلى المستوى الآخر، وهو مستوى التحول اللغوي Language shift.

٢- النوع الثاني ويسمى التحول اللغوي Language shift وهو نوع ينتج عن التمادي في المستوى الأول، و يسلم إلى الانصراف من لغة إلى أخرى، ويمثل مرحلة تسبق مرحلة موت اللغة أو انقراضها. وأول من أطلق هذا المصطلح هو يوريل واينرايخ في كتابه بعنوان» اللغات في حالة الاتصال: نتائج ومشكلات».

والتحول اللغوي يأتي بعد مرحلة الثنائية اللغوية في المجتمع bilingualism وقد يكون التحول فرديا إراديا، أو يكون قسريا مفروضا، فهو إرادي إذا تجنب المستعمل لغته الأصلية مفضلا أن يتحول كليا إلى اللغة النافذة لأسباب اجتماعية أو اقتصادية. وقد يكون قسريا (وهنا يمكن أن نطلق عليه مسمى التحويل اللغوي) من خلال إجبار الصغار عليه، بغمرهم في اللغة الوافدة القوية قصد إبعادهم عن لغتهم الأم، ومخاطبتهم طوال الوقت بهذه اللغة بهدف قطع صلتهم باللغة الأم. ونحن نشهد الآن في المنطقة العربية كثيرا من أولياء أمور بعض الأطفال يقومون بإدخال أطفالهم منذ نعومة أظفارهم المدارس الأجنبية، ويستمرون في استعمال اللغة الأجنبية معهم حتى بعد خروجهم من المدارس، أملا في أن تصبح اللغة الأجنبية الوافدة لغة سليقة للطفل. و في هذا عدوان على حق هذا الطفل بأن يتقن لغته الأصلية، ويعيش الثقافة الخاصة بهذه اللغة. وهذا النوع من التحويل القسري يخالف ميثاق حقوق الطفل العالمية.

وهناك تحويل قسري جماعي تقوم به الدول الاستعمارية والغازية، حين تقوم أحيانا بحجز الأطفال لأبناء البلاد المغزوة أو المستعمرة في أماكن خاصة كي تغمرهم باللغة وتقطع صلتهم بلغتهم الأم فتحولهم بذلك قسريا إلى اللغة الجديدة وإلى ثقافتها الوافدة، كما حدث لبعض مجموعات من الهنود الحمر في أمريكا بوساطة الرجل الأبيض بعد تغلبه على أراضيهم وطردهم منها.

موت اللغة

إن التحول اللغوي هو المرحلة التي تسبق موت اللغة في أغلب الأحيان، ولموت اللغة عدة صور منها :

١. **الانقراض:** وهو عادة ما يكون من نصيب اللغات الشفاهية التي لم تدون، فهي تنقرض بانقراض الأشخاص الذين يستعملونها أو يتحدثون بها، بسبب ما يتعرضون له من ظروف الحروب أو الإبادة الجماعية العدوانية، أو الأمراض الوبائية، أو الكوارث الطبيعية، التي تسبب المجاعات [١٤].

٢. **الموت التدريجي:** وهو يتعلق باللغات المحفوظة بالكتابة، فهذه اللغات لا تنقرض نهائيا وإنما تحفظ من خلال التراث المكتوبة به. وموتها لا يعني انقراضها بقدر ما يعني توقفها عن العمل، واقتصارها على فئة قليلة من الباحثين أو المختصين. والواقع أن كثيرا من اللغات العظيمة القديمة، التي كانت سائدة في مناطق مختلفة وشاسعة من العالم، هي الآن في حكم اللغات الميتة، لعدم استعمالها، كاللاتينية والسنسكريتية والقبطية والآرامية، وغيرها من اللغات، التي كتب بها تراث محفوظ، ولا يستعملها إلا المختصون.

إن حياة اللغات لا تقاس ببقائها بقدر ما تقاس بحيويتها في المجتمع، واستعمال أكبر عدد من المتحدثين أو الكتاب لها. ويكون الموت هنا بأسباب كثيرة منها غزو دولة ما لمنطقة من المناطق وفرض لغتها على سكان تلك المنطقة، ومنها التأثير الثقافي (اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا) لثقافة ما على ثقافة أخرى، وتمددها في مناطق شاسعة، وارتباطها بمكاسب آنية (اقتصادية واجتماعية أو غير ذلك) لدى الأفراد، الذين يتحولون بشكل أو بآخر إلى لغة الثقافة الوافدة عن طريق الازدواج اللغوي ثم التحول اللغوي.

وقد أشار ورم إلى نوع من الموت يندرج ضمن هذا النوع، وهو الموت بـ(النفي) أو (الإقصاء)، وفي هذه الحالة تقصى اللغة المحلية عن المفاصل

الرئيسية في حياة المجتمع، وتنفى إلى موضوعات تافهة أو غير مهمة، أو إلى استعمالات خاصة محدودة،، وتحل محلها اللغة ذات النفوذ.[15]

٣- **الموت بالامتصاص اللغوي:** وفي هذه الحالة تبقى اللغة الأصلية شكليا، لكنها تمتص لغويا من خلال اللغة الغازية، وذلك بإغراقها بالمفردات المستمدة منها أولا، ثم بالتدخل في التركيب اللغوي للغة المستهدفة، بحيث يحدث تغيير جذري في أصوات اللغة ونحوها وصرفها، يتماشى مع ما هو موجود في اللغة الغازية. يقول لويس جان كالفي في كتابه «حرب اللغات والسياسات اللغوية» : «حين ترى لغة من اللغات أن نظامها الصوتي يذوب في نظام لغة أخرى، وترى أن جملها صورة لجمل لغة أخرى، فإنها تكون حينذاك في خطر الامتصاص، فالأصوات والنحو هيكل البناء اللغوي، أما المعجم فليس سوى الطلاء» [16]

ويعد ستيفن ورم من أمثلة موت اللغة أن تفقد اللغة خصائصها المتجذرة في ثقافة المتحدثين بها، وتصبح مجرد تقليد للغة الأقوام الغزاة ذات الثقافة العدوانية، وفي هذه الحالة فإن اللغة المستهدفة لا تعود تعكس رؤية العالم من خلال ثقافة أهلها الأصليين، بقدر ما تعكس نظرة القوم الذين يملكون ثقافة ولغة عدوانيتين. [17]

أسباب موت اللغات

لعل فيما قدمناه من وصف لكيفية انقراض اللغات وموتها ما يحمل أسباب ذلك، فالحروب والكوارث الطبيعية والإنسانية، واحتكاك اللغات بعضها ببعض، وتغلب إحدى الثقافات بلغتها المؤثرة، لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية على لغة أخرى يدعو إلى ضمور اللغة المستهدفة واختفائها تدريجيا، أو امتصاصها ضمن اللغة القوية التي تغير بناءها الداخلي وتجعلها هيكلا لا يمثل اللغة الأصلية، أو لا يستند إلى مرجعية الثقافة التي تنتمي إليها اللغة. و يشير كالفي إلى عرضين مهمين يدلان على

اتجاه لغة من اللغات إلى الاندثار، أولهما قلة عدد المتحدثين بهذه اللغة، و ثانيهما التغير في الشكل اللغوي الذي يشير في الغالب إلى علامات اندثار وشيك. (١٨)

مستقبل اللغة العربية في الفكر المعاصر

هل بالإمكان أن نتنبأ بمستقبل أي لغة من اللغات؟ إن مثل هذا الأمر بالغ الصعوبة، والسبب أن اللغة سلوك بشري، يتأثر بجملة من المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ويتغير سريعا حسب تغير الظروف والأحوال. وهذا ما يشير إليه ويليام ماكي في بحثه عن «التنبؤ بمصير اللغات» فقد ذكر أنه في سنة ١٩٤٠ عقدت ندوة في جامعة ويسكونسن حول مصير لغات الأقليات في أمريكا، وانتهى اللغويون فيها إلى أن معظم هذه اللغات بما فيها اللغة الفرنسية لن يكون لها وجود في نهاية القرن العشرين، والآن يرى الإنسان كيف أن وضع اللغة الفرنسية في مقاطعة كويبك أعلى منه في الوقت الذي حصل فيه التنبؤ(١٩) (كما ذكر أمثلة أخرى أقدم من ذلك).

لقد بدأ الحديث عن مستقبل اللغة العربية في العصر الحديث بين العرب مبكرا، ولعل من أوائل المحاولات -إن لم تكن أولها- لطرح ذلك الموضوع على بساط البحث محاولة مجلة «الهلال» المصرية، التي نشرت في عدد أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١٩م (١٣٣٨ هـ) استفتاء عن مستقبل اللغة العربية ضم الأسئلة الآتية:

- ما هو مستقبل اللغة العربية في نظركم؟
- وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوروبي والروح العربية فيها؟
- وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الأقطار العربية؟

- هل يعم انتشارها في المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم؟
- وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها؟
- وما هي خير الوسائل لإحيائها؟.[٢٠]

وسنستعرض فيما يأتي إجابات العلماء والأدباء الذين شاركوا في هذا الاستفتاء، ونرى تصوراتهم حول مستقبل اللغة العربية، لننظر ما تحقق منها بعد ما يفوق تسعين عاما من الزمان، وما لم يتحقق، ولندلل على أن اللغة ليس من السهل التنبؤ بحركتها المستقبلية، كما نستعرض أيضا بعض الآراء القريبة من عصرنا التي عالجت مستقبل اللغة العربية، ثم نتحدث عن رؤيتنا في هذا المجال وفقا للمعطيات القائمة بين أيدينا.

لقد أجاب على استفتاء «الهلال» مجموعة من المستشرقين والعرب، ويمكن أن نلخص مجمل الآراء بما يلي:

يتفق المستشرقون على أهمية اللغة العربية وقدرتها على البقاء ويتنبؤون لها بمستقبل جيد، فيرى جويدي أن نتائج الحرب العالمية الأولى سيكون لها تأثير شديد على اللغة العربية، لكنه يقفز من التنبؤ إلى ما يجب أن يكون، فيتحدث عن إصلاح الكتابة العربية ونحو ذلك.[٢١]

ويرى المستشرق الأمريكي رتشرد كوتهيل الأستاذ بجامعة كولومبيا، أن أثر الحرب (العالمية الأولى) واقع بسبب التلامس المكاني بين العرب والحضارة الغربية، ويرى أن العربية ستحتفظ بكيانها مع ذلك الاحتكاك، لأنها احتكت بالغرب في تجربتين سابقتين وعادت سالمة ذلك أن «الينابيع التي استمدت منها الآداب العربية وحيها و إلهامها لم تكن ناضبة». ويستنكر أن تحل الإنكليزية أو الفرنسية محل العربية معولا على وعي الإنسان العربي قائلا: «إن شعبا له آداب غنية متنوعة، ولغة مرنة لينة ذات مادة لا تكاد

تفنى لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثا اتصل إليه بعد قرون طويلة من آبائه و أجداده»[٢٢].

ويرى كوتهيل أن من الغبن أن يتحول الخط العربي إلى خط أوروبي، ولا يرى سببا يمنع أن تكون العربية لغة التعليم في المدارس والجامعات، بل إنه لا يستحسن أن تكون اللغات الأوروبية لغات تعليم عامة، وإن كان يؤكد على ضرورة معرفة اللغات الأجنبية.

ويرى أنه سيكون للعربية مستقبل باهر ولأرباب العلم في مصر وسورية فضل إبقاء نورها ساطعا.

ويرى الأب لامنس اليسوعي أن مستقبل اللغة العربية حسن «على شرط أن يتولى الحكم في البلاد العربية رجال ذوو نظر بعيد، وأفكار واسعة ووطنية رحبة يقتنعون بأن مستقبل لغتهم يتوقف على اتحادها وثيقا مع المدنية الغربية»[٢٣]. ولم يفسر لامنس كيف يكون هذا الاتحاد مع المدنية الغربية. لكنه ما يلبث أن يظهر شيئا من ذلك عندما يرى ضرورة المثابرة على تعلم اللغات الأوروبية، ويقف ضد جعل التعليم العالي باللغة العربية.

أما ويليام ورل مدير مدرسة المباحث الشرقية في القدس، فيرى أن العربية لم تتقهقر في الماضي أمام أي لغة أخرى، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت في الماضي. ويرى أن للغة العربية لينا ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر، ومتى سنحت لها الظروف فإنها تستطيع أن تبلغ درجة من الدقة والرقي تمكنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية، وإذ ذاك يجوز للجامعات أن تعلم العلوم باللغة العربية كما يعلم في هولندا والدانمرك باللغتين الهولندية والدانمركية، مع الإشارة إلى ضرورة تعلم الإنكليزية والفرنسية والألمانية.

وردا على سؤال اللهجات يرى أن الفصحى، ليست حية على أفواه الشعوب العربية، ولو أمكن ذلك فسيكون أمرا لا مثيل له في العالم. أما عن

حفظ اللغة فيكون بالاعتراف بأن مرجع اللغة الحقيقي هو كلام العامة مع شيء من التنقية والتطهير[٢٤].

أما المشاركون في الإجابة على الاستفتاء من العرب فهم: خليل مطران، ومحمد كرد علي، وجبر ضومط، وسليم سركيس، وجبران خليل جبران.

يرى خليل مطران (ت ١٩٤٩م) أن تأثير التمدين الغربي على العرب كبير في مختلف المجالات ومنها اللغة، فالصحف والكتب والمجلات أشبه ما تكون الآن بالمعربة لا لعدم فصاحتها أو هجنتها ولكن لأسلوبها المستغني عن الفضول، المعتمد على إعداد القول وتقسيمه، وتقطيع الجمل، مع بقاء الارتباط الضمني والتسلسل الذهني. و كأنه بذلك يرى أن تطويرا حدث لأسلوب الكتابة بفعل هذا الاحتكاك بين العربية وغيرها من اللغات. أما عن مستقبل اللغة فيستشف من رأيه أن مصر وسورية تتقدمان العرب من حيث العناية بالمدارس الابتدائية والعالية، ويعتقد أن سائر الأقطار العربية سوف تحذو حذوهما. وهو لا يرى إمكانا لتوحد اللغة، لأن الدولة العربية غير موحدة، وهذا أكبر سبب للعناية بالفصحى لتكون وسيلة التعارف والتآلف.[٢٥].

أما محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م)فقد رأى في التطور السياسي خيرا للغة العربية، «يزيدها استحكاما وانتشارا بعد أن كادت التركية أن تقضي عليها». ويرى أنه « لا يمضي قرن أو قرنان حتى تتوحد اللهجات العامية لأن الفصحى آخذة بالتغلب عليها»، وأن خير وسيلة لإحيائها نشر التراث، وتعليم جميع العلوم بالعربية، وبث الكتب النافعة بين طبقات الأمة.[٢٦]

وقد وقف جبر ضومط (ت ١٩٣٠م) موقفا مغايرا لمن سبقه من المشاركين العرب فقد رأى أن مستقبل العربية «غير ما كان يقدر لها قبل هذه الحرب المشؤومة، التي غيرت وستغير في أفكار وهمم أبناء هذه اللغة، كما غيرت وستغير من أفكار ونوايا الغربيين، ولعل تبعة هذه الحرب ستكون شرا من تبعة كل حرب تقدمتها على العربية والعرب»[٢٧] (نفسه ص ٣٠٠) ورأى أنه

«إذا طما التمدن الأوروبي على البلاد العربية في المستقبل القريب- وهو طام -كما تشير إلى ذلك كل الظواهر طمت لغة أهله على العربية» وهذا يفضي إلى إقبال المغلوبين على آداب الغالبين ولغتهم وإهمال آدابهم ولغتهم الوطنية» وعلى نسبة تسلط الغربيين ونفوذ نفوذهم تتراجع اللغة العربية والروح العربي» ويرى أن معركة العربية التي سماها جهادا ستكون شديدة جدا، كما كان جهاد العبرانية والروح العبرانية اليهودية فيما مضى»[٢٨].

أما عن انتشار التعليم في المدارس العالية وغير العالية باللغة العربية فيرى أن تجربة الأمريكان في الفلبين تشير إلى فرض لغتهم على الفلبينيين، لكن اللغة العربية غير الفلبينية ولذلك فإن جهاد العربية شديد بينها وبين الإنجليزية والفرنسية التي سيحاول المستعمر فرضهما. وهو يرى أن اللهجات العامية موجودة في كل لغات العالم الراقية، لكن الفصحى هي لغة المتعلمين والمدارس والجرائد والكتب، وينتهي إلى أن الفصحى ستبقى لغة العلم والمتعلمين والأدباء إلى ما شاء الله لبقاء القرآن والحديث وسائر الآداب العربية منذ عصر الرسالة إلى اليوم. ثم يرى أن أهم وسيلة لإحياء اللغة هي « رغبة أهلها فيها حفظا لكيانهم و قوميتهم، ويزيد رغبتهم فيها تحامل الإنجليز والفرنسيين عليها، واضطهادهم جهرا لها»[٢٩].

أما سليم سركيس فقد كانت إجابته مختصرة تحمل بعدا طائفيا، فهو يقول: « لما كانت اللغة العربية لغة المسلمين خاصة وعليهم دون سواهم إنعاشها فجوابي على سؤالكم أن: «في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء »[٣٠].

ويتناول جبران خليل جبران الموضوع بطريقة أخرى لا تخلو من شاعرية. فيرى أن مستقبل اللغة العربية منوط بالابتكار فهو «يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن -أو غير الكائن- في مجموع الأمم التي تتكلم العربية، فإن كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها،

وإن كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية»[٣١].

أما تأثير التمدين الغربي في اللغة فيرى أن التأثير شكل من أشكال الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتمضغه وتبتلعه وتحول الصالح منه إلى كيانها... ولكن إذا كانت اللغة بدون أضراس تقضم، ولا معدة تهضم، فالطعام يذهب سدى بل ينقلب سما قاتلا « فهو يرى أن هضم المستورد الأجنبي وجعله جزءا من التكوين اللغوي يقوي اللغة، أما أخذه عن طريق التقليد الأجوف فإنه شديد الضرر. وقد شرح ذلك بقوله «إن الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه إلى كيانهم الغربي، أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ولكنه لا يتحول إلى كيانهم بل يحولهم إلى شبه غربيين، وهي حالة أخشاها و أتبرأ منها لأنها تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه، وطورا كطفل بدون أضراس»[٣٢].

وينظر جبران إلى انتشار اللغة في المدارس العالية من خلال السائد في ذلك العصر، وبخاصة في بلاد الشام فيرى أن التدريس باللغة العربية في المدارس العالية لا يتم حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة، على نفقة الوطن الواحد، ولن تعلم بها العلوم باللغة العربية حتى تنتقل من أيدي الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية إلى أيدي الحكومات المحلية. وكأنه يقول أن من المستحيل أن يحرص المستعمر ومن جاء بذيله من المؤسسات التعليمية على تشجيع اللغة العربية والترويج لها. وهو يذكر بمرارة هذا الوضع الذي كان سائدا آنذاك في البلاد المستعمرة وكيف أنه قسم الولاءات للمواطنين إلى عدد من الدول تبعا للانتماءات الثقافية التي تعلم الطلاب في ظلالها، فقد أوجد الغرب مجموعة مستعمرات ثقافية متضاربة المشارب يصفها بقوله: «كل مستعمرة تشد في حبل إحدى الأمم الغربية، وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها،

فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أميركية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكي، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيرا فرنسيا، والشاب الذي لبس قميصا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا، إلى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء».[٣٣]

أما خير الوسائل لإحياء اللغة فهي في قلب الشاعر، والشاعر لدى جبران ليس الأديب أو ناظم الكلم، وإنما هو المبتكر صاحب الخيال المبدع، في أي فن من الفنون، أو علم من العلوم، أو مجال من مجالات الحياة، فهذا الشاعر بهذا المفهوم هو الذي يغني اللغة ويساعد على إحيائها. بعكس المقلد الذي تجمد اللغة عنده وتصبح جسدا بلا روح.

تلك هي آراء الباحثين والمفكرين في عشرين القرن الماضي، فإذا ما وصلنا إلى نهاية القرن نجد بحثا للدكتور الطاهر أحمد مكي بعنوان: «مستقبل اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين»، (نشر سنة ١٩٩٦م) [٣٤] وخلاصة ما يمكن أن يستشفه القارئ لمستقبل العربية هو أنه يجد مستقبلا مشرقا لهذه اللغة، لا خوف فيه على العربية في مستقبلها القريب أو البعيد، لا في القرن القادم (يقصد القرن الحادي والعشرين) ولا بعد ألف ثالثة من الزمان، وهو يعزو ذلك بالدرجة الأولى إلى:

١-أن القرآن يزداد رسوخا، والإقبال عليه حفظا وتجويدا يشتد.

٢-الصحوة الإسلامية الهائلة التي تمتد من إندونيسيا في أقصى الشرق إلى سواحل الأطلنطي غربا، وهي ذات طابع فريد وحاد يبلغ حد الثورة. وهي رغم المعوقات سوف تبلغ شاطئ الأمان، وتحقق الجانب الأكبر من غاياتها إن لم تكن كلها. وهو يرى أن الأمم الإسلامية سوف تجد في العربية وشائج أقوى من لغة المستعمر مما يشجعها على إحلال العربية محل اللغات الأجنبية.

٣-أن وسائل التقنية الحديثة تعين على تعليم اللغة العربية وإجادتها في زمن أقصر وبجهد أقل.

لكنه ما يلبث أن يستدرك بأن الأمر ليس بهذه السهولة التي يتحدث بها فيقول :» لكننا نسرف في التفاؤل إذا تصورنا أنفسنا وحدنا في هذا العالم، فهناك الغرب بخبثه، والولايات المتحدة بجبروتها، يرون الصحوة الإسلامية خطرا على مصالحهم، واللغة العربية تهدد ثقافتهم في مساحات شاسعة، وهم يستخدمون الآن كل قواهم، تخطيطا ومعلومات واقتصادا وعلماء، للعمل على وقفها بتدميرها من الداخل، وتفريغها من محتواها، فإذا فشلوا فسوف يواجهونها لا محالة علانية وبالسلاح«. إذن فالتفاؤل لا بد أن يبقى حذرا.

هل صدقت النبوءات؟

إن غاية ما يمكن أن نلحظه من بقايا نبوءات المتنبئين في بداية القرن العشرين أو نهايته أن معظم هذه التنبؤات لم يصدق منها شيء، بل إن الوضع مازال بالنسبة للغة العربية على حاله إبان الاستعمار، وقد ازداد سوءا بعد عصر العولمة.

لقد استبعد كوتهيل أن تحل الإنجليزية أو الفرنسية محل العربية معولا على وعي الإنسان العربي، فهل اختلف الوعي العربي باللغة العربية عما كان عليه في عشرين القرن الماضي؟ إن الواقع يشير إلى أن الوعي العربي باللغة في هذا العصر أكثر انخفاضا عما كان عليه في الماضي، ولا نحتاج إلى التدليل على ذلك فاللغة الإنجليزية تتسيد المشهد في قلاع التعليم، فبعد أن كانت مقصورة على الجامعات ومعاهد الدراسات العليا ها هي الآن تحكم قبضتها على كثير من مدارس التعليم العام، وتوشك أن تطغى على الجميع، وقد نشأت باسمها مؤسسات ذات استثمارات ضخمة لتحويل ألسنة الطلاب منذ الصغر إلى اللغة الإنجليزية على الخصوص، وتغييبهم

عن تراثهم العلمي والأدبي، ونزع صفة الانتماء إلى العروبة والإسلام منهم ليكون الانتماء إلى الثقافة المهيمنة.

واشترط ويليام ورل لجعل العربية لغة للتعليم أن تسنح الظروف لها لتتكيف وفقا لمقتضيات العصر، وأن تبلغ درجة من الرقي تمكنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية، فهل مكنت العربية من التعليم بها حتى تسنح لها الظروف بما قاله؟، أم أقيمت الحواجز والسدود أمامها لتؤدي دورها الطبيعي الذي تقوم به أي لغة من لغات العالم مهما كانت صغيرة أو فقيرة؟.

ولم تفلح نبؤة خليل مطران بأن تتقدم مصر وسوريا العرب وتقودهم إلى نهضة لغوية عن طريق التعليم.

ولم تعد اللغة العربية أكثر استحكاما وانتشارا بعد انقشاع الحكم التركي،كما تنبأ محمد كرد علي، كما أن اللهجات العربية لم تتوحد بالفصحى كما كان يأمل.

أما جبران فقد ربط الأمر بالابتكار، والوطنية والتخلص من النفوذ الأجنبي، وهضم الحضارة الغربية لا بتقليدها، وضخ ذلك كله إلى شريان الثقافة العربية، ويستحيل أن يحدث ذلك إلا عن طريق استعمال اللغة االأم، فهل تحقق شيء من ذلك؟. إن الواقع يصدمنا بأن هذه الأهداف الرائعة لم يتحقق منها شيء، وأننا ما زلنا نتردى في مرحلة التقليد لا الابتكار، لأن الابتكار يحتاج إلى روح وطنية وثابة، ولغة تترجم الأهداف إلى وقائع. نعم نحن ما زلنا، كما لاحظ جبران، متفككين ثقافيا وسياسيا ونزداد تفككا لغويا.

إن الوحيد الذي تنبأ بازدياد التسلط الغربي، وتراجع اللغة العربية، وأن معركة شديدة سوف تشهدها اللغة العربية مع لغات المستعمرين هو جبر ضومط. الذي وضع الإصبع على موضع الجرح النازف في جسم اللغة

العربية، حين قال بأن أهم وسيلة لإحياء اللغة والحفاظ عليها هي « رغبة أهلها بها حفظا لكيانهم وقوميتهم»، فهل أثبت العرب أنهم راغبون في لغتهم من أجل الحفاظ على كيانهم وهويتهم؟ إن الواقع يشير بعكس ذلك، بل إن العرب في أوج انتشار الدعوة إلى القومية العربية بينهم، لم تكن اللغة العربية واردة في أي برنامج إصلاحي من برامج الدولة، ولم يحدث فتح واضح يجعل العربية في مكان أرفع مما كانت عليه في عهد الاستعمار. بل على العكس ظهرت دعوات تهاجم العربية في نحوها وصرفها وقواعدها، وكان السياسيون يخاطبون الجماهير في مناسبات كثيرة باللهجة العامية، وانسحب الأمر منذ ذلك الحين إلى المثقفين ورجال الدين.

أما الدكتور الطاهر مكي، فبعد أن حلق بخياله الخصب في تصوير عظمة اللغة العربية، مشيرا إلى حقيقة ارتباطها بالقرآن الكريم ارتباطا أبديا، واستشهاده بالصحوة الإسلامية التي تنبأ لها بالاستحكام والانتصار، لم يلتفت إلى ما قد يصاحب تلك الصحوة من انحرافات قد تجني على صورتها، فتستغلها القوى المعادية لتجعل منها خطرا يهدد البشرية، وتصمها بأبشع الصفات، الأمر الذي شل حركتها وجعلها غير فاعلة بالقدر الذي تنبأ بها الدكتور. وها نحن نرى الآن أن تأثير الصحوة الإسلامية لا يمكن أن يجعلنا نطمئن إلى مستقبل هذه اللغة، ما لم تصحح هذه الصحوة مسارها، بل لعل ردة الفعل الغربية على الصحوة كانت بالمزيد من التغريب في المجتمعات الإسلامية، عن طريق وسائل عديدة من أهمها اختراق التعليم والإعلام لصالح القوى المعادية، إلى جانب التهميش المتعمد للغة العربية حتى في مهدها الأصيل.

عوامل ومؤشرات

يعتمد مستقبل اللغة أولا وأخيرا على سلوك أهلها اللغوي، واهتمامهم بها، ودرجة الوعي اللغوي لدى كل فرد منهم، ويزيد من صعوبة التنبؤ

بمستقبل اللغة العربية أن اللغة التي نقصدها لغة لا يتحدثها الناس فيما بينهم، وإنما هي لغة قياسية، تستعمل في فنون الإبداع، والشؤون الرسمية، والتبليغ العام على مستوى الأمة، وهي بذلك الوسيلة الوحيدة التي تربط بين أبناء شعوب الوطن العربي الكبير، كما يزيد من صعوبة ذلك عدم وجود دراسات علمية موثقة عن حال اللغة العربية الفصيحة في هذا العصر، من حيث انتشارها، ومدى الحاجة إليها، وفهمها واستيعابها من الجمهور، ومقدار تقبلهم لها، والحيز المتاح لها في التعليم، أو في وسائل الإعلام، التي تؤثر تأثيرا كبيرا على وجودها وانتشارها.

لذلك فإن غاية ما يمكن أن يعمد إليه الباحث في موضوع مستقبل اللغة العربية أن يستعين بالمؤشرات التي يراها ماثلة أمامه كي يرسم ما يتصور أن تؤول إليه أحوال هذه اللغة في المستقبل. وأن يقرن هذه المؤشرات بما توصل إليه الباحثون في أحوال اللغات من عوامل تدل على ازدهار اللغات وانتعاشها، أو ضمورها وموتها. مع الحذر الشديد في إصدار الأحكام القاطعة إذ أن الظروف التي تمر بها اللغة قابلة للتغير.

ولا يعني حديثنا عن المستقبل إغفال الحاضر بل إن الحاضر هو مقدمة ومؤشر لما سوف يحدث في المستقبل، فكل ما نزرعه في هذا العصر سوف تحصده الأجيال القادمة بخيره أو شره. لكن الحديث على الحاضر سيكون ضمن استعراضنا للعوامل المؤدية إلى تقوية اللغة العربية وتلك المؤدية إلى إضعافها التي سوف نستحضرها من خلال المؤشرات التي نرصدها.

من عوامل تقوية اللغة العربية

نتحدث هنا عن العوامل الاجتماعية والثقافية التي تحيط باللغة العربية والتي من شأنها أن تسهم في شد عضد اللغة، وجعلها قوية أمام غزو اللغات الأخرى أو تهديدها، ونحن هنا لا نرصد العوامل الداخلية التي تتميز بها اللغة العربية، والتي تجعل منها لغة قادرة على اجتياز درجة التفوق على

كثير من اللغات الكبرى في العالم، كالتفرد الصوتي والتركيبي والقدرة على الاشتقاق اللغوي، والثراء المعجمي فكل ذلك معروف، وهو من مظاهر قوة اللغة العربية في ذاتها، ونرى أن موضعه التدليل على قدرة اللغة للاستجابة إلى متطلبات العصر، وهو -على أي حال- ليس موضوعنا الآن. ونحن عندما نستعرض هذه العوامل فإنه لا بد لنا أن نشير إلى أن معظمها لم يستفد منه بالقدر الكافي الذي يجعل اللغة العربية في وضع أفضل مما هي عليه الآن. ويمكن القول بأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى تقوية اللغة العربية ما يأتي:

١- ارتباط اللغة العربية الفصحى بالقرآن الكريم:

مما لا شك فيه أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم بوصفها لغة التنزيل يعد أقوى عوامل القوة لهذه اللغة .وأن انتشارها في العالم -وبخاصة الإسلامي منه- مؤشر على قدرة هذه اللغة على الانتشار العالمي، بحيث ينطق بها على مستويات مختلفة، أكثر من مليار مسلم على ظهر البسيطة. غير أن هذه الخصيصة العظمى للغة العربية لا يجب أن تترك دون مواكبة وتعزيز، ذلك أن (حفظ) الذكر الكريم لا يعني (الحفاظ) على اللغة الفصيحة بين الناس. إذ لا بد لنا أن نفرق بين مسألة (حفظ اللغة) ومسألة (الحفاظ على اللغة) maintenance فالحفظ لا يعني إبقاء اللغة حية متفاعلة في المجتمع، ولعل من الملحوظ أن معظم لغات العالم الميتة المكتوبة محفوظة في كتبها المقدسة، أو تراثها الحضاري، ولكن ذلك لا يعني أنها لغات حية، بل المشهود أنها لغات ميتة لا عمل لها في مجتمعاتها. كما مر ذلك سابقا. إن ما يجعل اللغات حية هو الحفاظ على اللغة وهو عملية مستمرة ودائمة، تواكب اللغة وتقوم برفدها، والتخطيط لدوامها واستمرارها، وتتلمس وسائل ترقيتها، ومكافحة الظروف والمعوقات التي تقف أمامها.

٢- عدد المتحدثين باللغة.

يعزو العلماء استمرار حياة أي لغة أو توقفها إلى مقدار عدد المتحدثين بها، ونسبة تداولها بين الناس، ويشبهونها بالعملة التي تزدهر بالطلب عليها، وتكسد بعدم قبولها. ومعنى ذلك أن قلة المتحدثين باللغة نذير بموتها إن لم يكن بانقراضها، كما حدث للغات كثيرة.

وبهذا الصدد يشير التقرير الإقليمي لحالة السكان الصادر عن صندوق الأمم المتحدة للسكان سنة ٢٠١١ م إلى أن حجم سكان الوطن العربي قد يصل في الوقت الحاضر إلى ٣٦٧,٤ مليونا وأن نسبة الشباب دون سن ٢٥ سنة يبلغ حوالي ٧٠٪.[٣٥]

وجاء في تقرير حديث لإذاعة الـ بي بي سي أن عدد المتحدثين باللغة العربية في الوقت الحاضر يقدر بـ٤٢٢ مليون نسمة.[٣٦]

ويسجل جرادول رأيا يقول إن اللغة الإنجليزية قد سقطت إلى المرتبة الرابعة عالميا من حيث عدد المتكلمين الأصليين بها (بعد الصينية) الماندرين) والهندية-الأردية والأسبانية)، وأن هذه المرتبة بالنسبة للإنجليزية ستكون موضع تحد من اللغة العربية في منتصف القرن الحادي والعشرين، نظرا للتوقعات المنتظرة في ازدياد أعداد السكان العرب.[٣٧].

ما ذا يعني هذا بالنسبة لنا لغويا؟ إذا نظرنا إلى هذا العدد من الناس في أي لغة أخرى فإننا نطمئن إلى استمرارية هذه اللغة في الحياة، وقدرتها على مصارعة اللغات الأخرى. لكننا إذا علمنا أن أغلبية هؤلاء السكان -إن لم يكن كلهم -لا يتحدثون اللغة التي نقصدها، وإنما يتبادلون بينهم خليطا من اللهجات، وإذا أضفنا إلى ذلك عوامل مؤثرة تقف حائلا أمام إتقان العربية الفصيحة، فإنه سرعان ما يخبو ذلك الاطمئنان، ويتحول إلى ما يشبه السراب.. ذلك أن اللغة الفصيحة في عصرنا الحاضر تقف أمامها

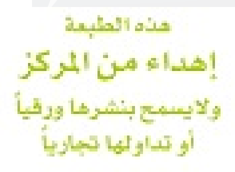
تحديات كثيرة، وهذه التحديات هي أهم عوامل إضعاف اللغة وهي ستكون موضع حديث مفصل لاحقا.

إننا لا نطمئن إلى شرط العدد الكبير لمستعملي اللغة العربية في الوقت الحاضر، إذا استمرت الحال لغويا على ما هي عليه في البلاد العربية ، بل إننا لنخشى أن تجر حالة اللامبالاة التي نشهدها عند المثقفين وأصحاب القرار، إلى إقصاء العربية الفصحى من مواقع أخرى كثيرة، إلى جانب ظهور نوع من التهجين اللغوي الشديد للغتنا العامية، في كل بلد عربي على حدة، وهذا من شأنه أن يحدث نوعا من اللغات الكريولية (٣٨) ،التي نتنشأ بفعل احتكاك اللغات المحلية بلغات أجنبية (غربية في الغالب)، وهو أمر ينظر إليه اللغويون المحدثون بكثير من القلق إذ يعد نوعا من أنواع موت اللغات.

٣-التراث الحضاري للغة العربية.

ليست اللغة العربية لغة وليدة وإنما هي لغة تستند إلى تراث ثقافي عريق وممتد، وإلى تجارب حضارية خاضتها في مواجهة لغات كبرى في ماضيها القديم. لكن هذا العامل القوي في مسيرة اللغة العربية لا يمكن أن يرفد اللغة ويسندها في معركة البقاء إلا إذا وجد اهتماما من أصحاب هذه اللغة، ووعيا بأهميته، وقدرة على استلهامه، كي يكون عاملا مؤثرا في بقاء الفصحى واستمرارها، والتجديد فيها انطلاقا من الإرث الثقافي العظيم لهذا التراث.

والمشاهد أن التراث الثقافي العريق للأمة العربية -في الوقت الحاضر- لم يستثمر الاستثمار الأمثل في زرع الثقة بالنفس العربية، والتواصل معه، بوصفه إنجازا حضاريا، قابلا للاستلهام ومستحقا للاعتزاز به.



٤-الوحدة العربية الثقافية.

تمتاز الأمة العربية بميزة لم تتحقق لكثير من الأمم والشعوب، ألا وهي الوحدة الثقافية التي أتاحتها الثقافة العربية الإسلامية الممتدة من الخليج العربي إلى ضفاف الأطلسي، هذه الوحدة الثقافية (التي تشمل المسلمين وغيرهم من أبناء الوطن العربي الكبير)تكونت من خلال وحدة اللغة بالدرجة الأولى لمعظم سكان الوطن العربي، ولذلك فإن اللغة العربية هي الناطق الممثل لهؤلاء السكان، ولا لغة غيرها يمكن أن تجمع شملهم، أو توحد ثقافتهم، أو تعبر عما في نفوسهم جميعا، هذه اللغة تسمو فوق الأعراق والإثنيات والطوائف والإقليميات، تقفز فوق كل الحواجز لتكون البوتقة التي تصهر الجميع في هوية واحدة. ولذلك فإن جميع الدعوات التي تظهر في الوطن العربي، بين الفينة والأخرى، للمناداة باستقلال لغات فيه على أسس إثنية، أو إعلاء شأن بعض اللهجات على أسس إقليمية، هي دعوات يقصد منها تقطيع الجسد العربي الواحد، وجعله عرضة للاهتراء. إن أمما كبرى -كالاتحاد الأوروبي -تتمنى أن تكون لها لغة واحدة، لكنها لا تستطيع ذلك لكون كل شعب من شعوبها المختلفة اللغة يطالب بالحفاظ على لغته، وبذلك يتكلف الاتحاد مبالغ كبيرة من أجل الترجمة بين لغاته المختلفة، والتواصل السلس بين شعوبه. أما البلاد العربية فقد تهيأت لها لغة واحدة لتكون لغة فضاء كبير، سيكون له شأن في العالم، لو استطاع توظيف هذه الميزة اللغوية الكبرى، التي تيسر التواصل بجميع أنواعه، وتشجع انتقال الثقافة والعلم والتجارة بين أرجائه الواسعة بسرعة فائقة، وتكون فاعلا أساسيا في أي مشروع نهضوي سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، مما يسهم في النهوض بهذا الوطن من كبواته المتكررة، إن شاء الله.

وليس معنى هذا أن نقضي على التنوع اللغوي والإثني والإقليمي في البلاد العربية، وإنما نريد أن يكون هذا التنوع تنوعا بناء، يمثل مظهرا من مظاهر القوة لا الضعف، وذلك بأن تكون اللغة العربية الفصيحة هي اللغة

الأم، أما اللغات واللهجات الأخرى فلا بأس من وجودها للعمل في بيئاتها لأغراض ثقافية واجتماعية محدودة.

ولعل مما يمكن أن يذكر من تجارب الأمم الأخرى في هذا المجال أن فرنسا التي تدافع عن التعدد اللغوي والتنوع الثقافي خارج بلادها لأسباب استعمارية ولغوية، من أجل إعطاء الفرنسية مكانة في العالم – هي من أشد البلاد تمسكا بمركزية اللغة الفرنسية داخل حدودها إذ هي الرابط القوي بين شعوب فرنسا وإثنياتها، و لهجاتها المختلفة . فاللغة الفرنسية كما يقول ليونيل جوسبان « هي الرابط الذي تستند إليه الجمهورية وقيمها»[٣٩] ، وخلال التاريخ، كما يذكر أحد الخبراء:» كانت الوحدة اللغوية لفرنسا مرتبطة بالوحدة السياسية، وتقدم المركزية» ولذلك يقول جوردون :»إن البرلمان الفرنسي قد عدل الدستور سنة ١٩٩٢م ليؤكد على أن «لغة الجمهورية هي اللغة الفرنسية»، ولم يفعل ذلك من أجل إجراء حمائي للغة ضد توغل الكلمات الأجنبية وحسب، وإنما من أجل الوقوف في وجه الشعبية المتنامية من بعض لغات الأقليات، واللغات الإقليمية مثل لغة البريتون، واللغة الكورسيكية والألساتية، والأوكسيتان وغيرها»[٤٠]. ومن أجل ذلك يضيف جوردون فإن «الحكومة الفرنسية كانت لسنوات عدة الحكومة الوحيدة في غرب أوروبا التي لم توقع ميثاق لغات الأقليات واللغات الإقليمية الذي أمضاه المجلس الأوروبي في سنة ١٩٩٢م، وحتى عندما وقعت الحكومة الفرنسية بأخرة على بعض مواده، فإن التصديق على هذا التوقيع ليس مؤكدا»[٤١]

٥- التأثير الاقتصادي:

يمر العرب في هذا العصر بفترة بروز اقتصادي على المستوى العالمي، يأتي من كونهم يمتلكون ثروات طبيعية هائلة فهم يمتلكون أكثر من نصف احتياطي البترول في العالم، وبذلك يكونون مصدرا رئيسا للطاقة لكثير من شعوب الأرض. وحيث أن الاقتصاد العربي، وبخاصة الخليجي، في

غالبه اقتصاد ريعي فإن الطابع الاستهلاكي يسيطر على معظم الأسواق، التي تفتح ذراعيها لكل منتجات العالم. وكان من المتوقع، والحال هذه، أن يكون للغة العربية بروز وتأثير في هذه الأسواق، لكن غياب الوعي بأهمية اللغة جعل هذه الأسواق مرتعا للغات الأجنبية التي أحكمت قبضتها عليها وأزاحت اللغة العربية عنها.

٦-الانتشار العالمي:

مما لا شك فيه أن اللغة العربية تحظى بانتشار عالمي تحسدها عليه كثير من اللغات وذلك عبر منافذ كثيرة على مستوى العالم منها:

أ- الاعتراف العالمي بها لغة من لغات الأمم المتحدة، وقد تم ذلك سنة ١٩٧٣م وبهذا أصبحت العربية لغة رسمية في كثير من منظمات الأمم المتحدة. كاليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الغذاء والزراعة وغيرها، كما أنها لغة رسمية في الاتحاد الأفريقي، ومنظمة التعاون الإسلامي، والاتحاد الدولي للاتصالات، ومنظمة الأوبك، ومنظمات أخرى.

لكن هذه الميزة يعصف بها في كثير من الأحيان تخاذل العرب في تمويل أعمال الترجمة في المنظمات الدولية المختلفة، ومنها اليونسكو، ولولا وقوف المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج العربية لمساندة اللغة العربية في هذا الأمر لما استمرت هذه الميزة حتى الآن. وهذا يدل على مدى التهاون العربي بميزة مهمة تبذل الدول الغالي والنفيس نحو امتلاكها.

ب- اعتمادها لغة في التعليم في كثير من بلاد الدنيا، و آخر ما اطلعنا عليه في هذا الصدد تخصيص الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ مليون وثلاثمئة ألف دولار منحة لخمس مناطق تعليمية لإدخال العربية ضمن جدولها الدراسي، مما أثار اللوبي الصهيوني هناك[٤٢].

ويجد تعلم اللغة العربية إقبالا مرتفعا في الولايات المتحدة أشارت إليه دراسة أعدتها قناة العربية وأوردها الدكتور محمود إسماعيل صالح وفيها

أن عدد الدراسين ارتفع سنة ٢٠٠٧ بنسبة ٤٦٪ وعقب عليها بقوله «ولا أظن هذا العدد يشمل مئات الدارسين في مئات المراكز والمدارس الإسلامية وطلاب المدارس المتوسطة والثانوية في الولايات المتحدة»[٤٣].

وهنا نضع يدنا على خلل آخر في تعاملنا البحثي مع اللغة، فنحن حتى الآن لا نمتلك معلومات موثقة عن كيفية انتشار العربية في العالم، كما إننا لا نمتلك دراسات موثقة تبين لنا عدد المؤسسات والدارسين للعربية في دول العالم المختلفة، وهي أدوات مهمة لدراسة وضع اللغة العالمي.

٧-الانتشار الفضائي:

تحظى اللغة العربية بشكل عام بانتشار فضائي قد لا يكون مسبوقا من أمم أخرى . .ويرى جرادول أن مجال البث الأخباري العالمي كان لمدة طويلة منحصرا في جملة من الوكالات والإذاعات الغربية مثل الأسوشياتد برس، و رويترز،وال بي بي سي، وال سي إن إن، لكن انطلاقة قناة الجزيرة من قطر سنة ١٩٩٦م أحدثت تحولا في مجال بث الإعلام الإخباري العالمي، فبتقديم مصدر مستقل للأخبار عن أحداث الشرق الأوسط أصبحت الجزيرة مصدر قلق للحكومات الغربية، وحكومات الدول العربية المجاورة على السواء، وفجأة أصبحت اللغة العربية – كما يقول – لغة مهمة، تقدم بها الأخبار العالمية»[٤٤]. ويستعرض بعد ذلك القنوات الإخبارية التي جاءت بعد الجزيرة، كالعربية، وال بي بي سي، ويمكن أن نضيف الآن العشرات من المحطات الإخبارية العالمية التي تخطب ود العرب بلغتهم العربية.

إن هذا التقدم في حقل الإعلام الإخباري العالمي سبق دول أمريكا اللاتينية، التي لم تنطلق نسختها المنافسة لـ س إن إن إلا سنة ٢٠٠٥م باسم telesur من كاراكاس. وفي هذا مؤشر على سبق للغة العربية في هذا المجال.

الإعلام الإخباري مصدر قوة وبعث للغة العربية الفصيحة، وهو سلاح ذو حدين فمع أنه أسهم وما يزال في الحفاظ على اللغة الفصيحة السهلة السلسة، التي يتقبلها عامة الناس ويفهمونها، إلا أن تجاوزاته اللغوية لا تختلف عن تجاوزات لغة الصحافة عموما، وهي ناتجة عن السرعة في نقل الأخبار، وعدم التأني في الصياغة، كما أن للترجمة الخاطئة أثرا كبيرا في حدوث كثير من الاختلالات اللغوية، الأمر الذي يخشى منه حدوث وهن في نسيج اللغة العربية، وهو لذلك يحتاج إلى تدارك الهيئات والمؤسسات اللغوية والتنفيذية لتصحيح ما يبدو فيه من اختلالات لغوية. ومع ذلك فإن الإعلام الأخباري هو قلعة العربية الحصينة، في الوقت الحاضر، وهو الذي بقي للغة العربية الفصيحة من برامج كثير من الفضائيات العربية. ومن المؤسف أن الفضائيات الأجنبية كالـ بي بي سي، و الحرة، وإذاعة فرنسا ٢٤، أكثر حفاظا على قواعد اللغة العربية وأساسياتها من الفضائيات العربية، التي تمتلئ بالخليط من اللهجات المحلية والتعابير الأجنبية، فتنحدر بالذوق اللغوي عند العرب إلى مهاو سحيقة.

٨- الانتشار الشبكي:

يعد انتشار اللغة العربية على الشابكة(الإنترنت) من أهم عوامل ترسيخ أقدام هذه اللغة في هذا العصر والمستقبل. فلا شك أن الحضور العربي في هذا الفضاء الإلكتروني يزداد يوما بعد يوم. فاللغة العربية هي اللغة السابعة حضورا في هذا الفضاء، وقد بلغت نسبة النمو في صناعة المحتوى الرقمي العربي بين سنتي ٢٠٠٠م و٢٠١١ أكثر من ٢٥٠١٪، أما نسبة عدد المتحدثين العرب في الشابكة فهو قليل بالنسبة لعدد السكان العالمي إذ يبلغ حوالي ٥٪ [٤٥]، ومع ذلك فإن الأيام المقبلة ستشهد فيما نعتقد نموا متزايدا في مجالي المحتوى العربي وعدد المستعملين للشابكة من العرب، مع تطوير لوسائل الاستفادة من المحتوى المعرفي بشكل خاص. ولا شك أن الجهود المبذولة لتطوير هذا المحتوى في بعض الدول العربية وبخاصة في

المملكة العربية السعودية ومصر سوف تؤدي إلى تقوية هذا الجانب المهم في الحياة العربية المعاصرة.

وما يهمنا هنا أن الشابكة تقدم فرصة ذهبية للرقي باللغة العربية وانتشارها، وحفظ تراثها، وحسن الاستفادة منه من قبل الباحثين والمهتمين في جميع أنحاء العالم.

عوامل إضعاف اللغة العربية

هنالك عوامل عديدة من شأنها إضعاف اللغة العربية في نفوس أهلها، وفي المجتمع، مما يعوقها عن أداء رسالتها النهضوية منها:

١- انخفاض الوعي القومي باللغة:

من المؤكد أن أي لغة من اللغات لا يمكن أن تنتعش وتزدهر دون شعور المستعملين لها بأهميتها في حياة كل منهم، واعتزازهم بها لكونها تعبر عن هويتهم وتحفظ تراثهم، وتشد أواصر الاتحاد بينهم، وتنقل إليهم العلوم والمعارف، كما أنها تدفع بهم إلى التقدم.

ولذلك نجد الشعوب المتقدمة تدافع عن لغاتها، وتهيء لها الفرص للانتعاش عن طريق تشجيع تداولها فيما بينهم، وتهيئة الفرص لها كي تؤدي دورها في المجتمع. إذ إن اللغة كما هو معروف تشبه العملة تزدهر بالتداول وتكسد بعدمه، وهي أيضا تشبه العملة من حيث أنها أداة لتداول المعرفة بين أبناء الشعب، فكلما جعلت وعاء للثقافة استطاعت أن تنشر هذه الثقافة بين أبناء المجتمع بسرعة، بعكس اللغة الأجنبية التي تنتشر الثقافة من خلالها بين فئة محدودة من أبناء المجتمع، هي فئة المتمكنين من اللغة الأجنبية.

لا أحد ينكر أن الإخفاقات الشديدة التي مني بها الإنسان العربي، وبخاصة بعد سنين الاستقلال السياسي، والحروب التي خاضتها الأمة العربية، وانتهى معظمها إلى الهزيمة، وانتكاس الآمال القومية الكبرى، التي كان يعول عليها ذلك الإنسان قد أحدثت نوعا من الصدمة الشديدة، التي أدت إلى الشعور

العميق بالهزيمة النفسية والاستسلام للواقع المر، بل تعدى الأمر ذلك إلى نوع من اللامبالاة، والسعي إلى تلبية الاحتياجات الضرورية للفرد، دون نظر إلى المصلحة العامة، التي تؤثر في المنظور البعيد على مصلحة الجميع. ثم جاء عصر العولمة ليشيع في أذهان العامة والصغار عظمة الآخر، ويخلق ازدراء الذات ومكوناتها الثقافية، وفي مقدمتها اللغة. ولا شك أن ذلك يدخل ضمن قاعدة « ولع» المغلوب بالغالب، التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته.

إن الوعي اللغوي هو المحدد الأول لنهضة اللغة أو انحدارها، فإذا استشعر الإنسان أهمية لغته في حياته، وكونها معبرة عن ذاته، وارتبط بها وجدانيا، كان ذلك سببا في إعلاء قيمة اللغة، والعمل على استمرار حيويتها وازدهارها. وعلى العكس من ذلك عندما يجهل الإنسان أهمية لغته فإنه غالبا ما يزهد فيها، ويتطلع إلى غيرها، وهذا ما يحدث الآن في عصرنا الحاضر، فقد أدى انخفاض الوعي بأهمية اللغة إلى زهد أهلها فيها، وعدم حرصهم على إتقانها، أو تفعيلها في المجتمع، من خلال استعمالها في الشؤون الرسمية والاقتصادية والإعلامية والتربوية. وإذا كانت الفصيحة السهلة هي لغة الصحافة فإنها تغيب بشكل ملحوظ من كثير من البرامج الإذاعية المرئية والمسموعة، وتتغلب عليها اللهجات المحلية، وتقتصر على نشرات الأخبار، التي تقوم دعوات بين الحين والآخر لإلقائها باللهجات المحلية، بل إن بعض الفضائيات قد عمدت إلى صياغة أخبارها وتقاريرها الإخبارية باللهجة المحلية.

٢- الانبهار باللغات الأجنبية:

وقد أدى ذلك إلى الانصراف إلى اللغات الأجنبية وتحديدا الإنجليزية في المشرق والفرنسية في المغرب، باعتبار اللغة الأجنبية هي اللغة التي تمثل العصر الحديث، وتتجاوب مع رغبات السوق تبعا لهيمنة العولمة الاقتصادية على السوق المستهلك، على الرغم من أن احتياج الأجنبي إلى تسويق بضاعته في بلادنا كان يلزمه -في الحالات الطبيعية- أن يتعلم لغتنا، وقد سبق أن قال المستشار الألماني الأسبق ويلي براندت قولته التي تؤكد ذلك: «إذا أردت أن

أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك، و إذا أردت أن تبيعني بضاعتك عليك أن تتحدث الألمانية» (٤٦).

لقد حملت الهيمنة الاقتصادية معها بالضرورة الهيمنة الثقافية، ومزاحمة اللغة الأجنبية للغتنا القومية، فنحن نشهد يوميا اغتيال اللغة العربية باستبعادها عن العمل – سواء أكانت فصيحة أو عامية – في التعليم والسوق والمستشفى والمواصلات والمطاعم والترفيه، وتوشك أن تكون الأجنبية لغة البيت، وأن تسيطر على الإعلام بأشكاله المختلفة المقروء والمرئي والعنكبوتي.

إننا لا نعارض بالطبع تعلم اللغات الأجنبية أو التواصل مع العالم بلغات الاتصال الكبرى، وإنما ندعو ألا يكون ذلك على حساب اللغة الأم، ولا على حساب ثقافتنا العربية الإسلامية،التي يجب أن تتجذر أولا في نفوس أبنائنا ووجداناتهم. ولذلك فإن الحاجة ماسة لتنظيم العلاقة بيننا وبين اللغة الأجنبية، بحيث لا تطغى هذه اللغة على لغتنا الأم، ولا تنافسها على مفاصل الحياة لدينا، أو تقصيها عن المجالات العامة في المعرفة والاقتصاد والاجتماع ونحو ذلك. وقد سبق أن كتبنا عن ذلك بالتفصيل في مكان آخر. (٤٧)

٣- الارتباك في تعليم اللغة العربية:

الارتباك والفوضى في تعليم اللغة العربية لأهلها أو لغيرهم، سمة من سمات هذه المرحلة التي نعيشها، يظهر فيها بوضوح عدم المبالاة من قبل المسؤولين عن التعليم بالبلاد العربية بإتقان اللغة العربية من قبل المعلمين والطلاب، جهلا منهم بأهمية الحفاظ على الهوية العربية، من خلال الحفاظ على لغة هذه الهوية، وهي اللغة الفصيحة الموحدة للعرب في الوطن العربي،

وقد نتج عن ذلك عدم العناية بالتخطيط السليم لتعليم هذه اللغة، بمهاراتها المختلفة بطرق علمية سهلة مشوقة، وعدم الابتكار في المناهج والوسائل التعليمية، وطرق الأداء بالقدر الذي يجعل العربية الفصيحة قريبة إلى نفوس الطلاب، محببة إليهم ويجعل التراث العربي محل شغفهم واحترامهم. وعدم المراجعة الدائمة والتقويم الحقيقي المستمر لأداء المعلمين والطلاب.

الكل يدرك مدى الضعف اللغوي الذي يعاني منه الجميع، ويعرف أسبابه ودواعيه، وقد عقدت لذلك المؤتمرات، والندوات، وسودت آلاف الصحائف بالتوصيات والمقترحات، ولكن لم نجد حتى الآن أحدا(فردا، أو مسؤولا أو دولة)استطاع أن يخطو في طريق التغيير، الموصل إلى إتقان اللغة الأم . فالجمود سيد الموقف، وعدم المبالاة هي ردة الفعل السائدة. ولن يكون هنالك تقدم في هذا الشأن ما لم نكسر حالة الجمود، بفتوحات مبتكرة في تدريس العربية، ولعل من أهم خطوات هذه الفتوحات أن يسود مفهوم إعلاء شأن اللغة العربية في مدارسنا باتباع عدد من الوسائل التي توصل إلى ذلك ومن أهمها:

أ-غمر التلاميذ الصغار باللغة العربية منذ نعومة أظفارهم وإسماعهم باللغة الفصيحة السهلة المعربة، طيلة مدة مكوثهم في المدرسة، وتدريبهم على الحديث مع المعلمين والمعلمات باللغة الفصيحة.

ب- إعداد المدرسين جميعا في كل التخصصات إعدادا لغويا سليما، وتدريبهم تدريبا كافيا، وإجراء امتحانات الكفاية اللغوية العربية المقننة لكل منتسب إلى مهنة التدريس، ثم الإلزام بالحديث في الفصل الدراسي مع الطلاب باللغة الفصيحة، وتدريب الطلاب على التحدث بها فيما بينهم، وتشجيع المعلمين ببذل الحوافز للمجيدين منهم، وإدراج ذلك ضمن تقويمهم السنوي، وذلك ما يحدث في البلدان المتقدمة ففي بريطانيا مثلا يرفع التربويون شعار «كل المدرسين مدرسون للغة الإنجليزية».

ج- تصميم مناهج حديثة لتعليم العربية، مناسبة عمريا لكل مرحلة دراسية، و مبنية على دراسات مكثفة للمزاج اللغوي العربي المعاصر، سواء في المفردات أو التراكيب أو الأبنية، وعدم إثقال كتب النحو والصرف بالتفاصيل التي لا تستجيب لحاجات الإنسان غير المتخصص في اللغة.

د- الإفادة من التقنية الحديثة في تعلم اللغات، والتدريب عليها، وابتكار وسائل تعليمية تقنية حديثة، للمساعدة في جعل تعلم العربية ممتعا ومفيدا، أسوة بما يحدث في تعليم اللغات الأخرى المعاصرة.

٥- تأثير المدارس الأجنبية:

لقد جاءت المدارس الأجنبية (ونقصد بها تلك التي تستخدم لغة أجنبية في تدريس الطلاب العرب جميع العلوم) في ذيل الإرساليات التبشيرية، والحملات الاستعمارية، التي استهدفت البلاد العربية، وقد مر بنا حديث جبران خليل جبران عن هذا النوع من المدارس القائم على تفكيك المجتمع إلى انتماءات ثقافية مختلفة، ثم جاء عصر العولمة الذي أحكمت فيه الشركات العالمية عابرة القارات القبضة على الأسواق العربية، وجعلت اللغة الإنجليزية شرطا من شروط التوظيف، وتسيير العمل، والتفاهم مع العاملين في هذه الشركات، وما لبث الأمر أن تعدى ذلك فأصبح إتقان الإنجليزية في جميع العلوم شرطا متوهما للنجاح في الحياة العملية. وسرت في الجماهير العربية، وبين المسؤولين فيها على وجه الخصوص، فكرة مؤداها أن اللغة الإنجليزية لغة العلم والحياة الحديثة، وأنها مفتاح النجاح في الحياة،، وتصاعدت الدعوة لتدريس التلاميذ منذ نعومة أظفارهم اللغة الإنجليزية من أجل إكسابهم اللغة في سن مبكرة، دون نظر للعواقب الوخيمة على لغة هذا الطفل، وعلى انتمائه إلى ثقافته العربية والإسلامية، وهي آثار نفسية وتربوية وتحصيلية بينتها كثير من البحوث الرصينة التي تطرقت إلى هذا الموضوع. كما نوقشت هذه القضية بوضوح في كثير من المؤتمرات التي عقدت حول قضايا اللغة العربية.[٤٨]

وقد أصبحت هذه المدارس جزءا من المنظومة التربوية العربية في العصر الحاضر، ومن المنتظر أن تخرج نتائجها السلبية وبالا على العرب ولغتهم وثقافتهم، إن لم يتدارك الأمر بوضع الأمور في نصابها وإحلال العربية مكانها اللائق في المنظومة التربوية العربية، وفي الحياة العربية بشكل عام.

٦-غياب السياسة اللغوية:

تنبع السياسة اللغوية من التخطيط الواعي من أجل وضع لغوي سليم يراه المخطط اللغوي، ومن أوجه هذه السياسة مساندة اللغة الأم وإعلاء شأنها في المجتمع، وتوجيه مسارها فيه، وتحجيم الآثار السلبية الناتجة من مزاحمة اللغات الأجنبية لها،حفاظا على هوية الأمة وتحقيقا لوحدتها السياسية والثقافية. ويكون ذلك عن طريق إصدار القرار السياسي، والتشريعات والقوانين الملزمة، التي تحفظ للغة مكانتها في المجتمع، وتنبه الجمهور إلى الاعتزاز القومي بها بوصفها عنوانا للهوية.

لقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى مسيرة اللغة العربية عبر القرون، ولاحظنا أن اللغة كانت تجري عبر تاريخها كله بقوة الدفع الذاتي، دون تدخل من أصحاب القرار، بينما كانت اللغات الأخرى التي تنافسها تدار من خلال سياسات مرسومة، تحاول النيل من العربية وإضعافها، وقد تم لها ذلك بعد انقضاء الحكم الفعلي لخلفاء بني العباس. والغريب أن تاريخ اللغة العربية على امتداده الطويل لم يسجل من أجل اللغة إلا موقفين سياسيين جليلين لأصحاب القرار عبر، الأول موقف الإمام علي بن أبي طالب حين أشار على أبي الأسود الدؤلي- أو وافقه -على خطة وضع النحو العربي، والموقف الثاني ذلك القرار التاريخي الذي اتخذه الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين وإصدار العملة العربية. و فيما عدا ذلك لا تكاد اللغة تدخل ضمن اهتمامات ذوي القرار السياسي في جميع العصور.

إن من الثابت أن اعتراف الدولة بأهمية اللغة لا يتم عبر وضعها جملة محنطة واحدة تنص على « أن اللغة العربية لغة الدولة» في الدساتير أو أنظمة الحكم كما هو الحال في معظم الدول العربية، وإنما يكون ذلك بتفعيل هذه الجملة الخطيرة تفعيلا واقعيا يكسبها القوة والقدرة، ويحلها المكانة الرفيعة بين الناس، ويلزم مؤسسات الدولة المختلفة بها، سواء في التعليم، أو الإعلام، أو مناشط الحياة الأخرى، عن طريق استعمالها والعناية بها، وكف مزاحمة العاميات واللغات الأجنبية لها، ومعاقبة المتهاونين بها، أو المسيئين إليها، كما

يعاقب من يسيء إلى رموز الدولة المعبرة عن سيادتها. ذلك هو الاعتراف الحقيقي الذي يجعل اللغة الأم ذات اعتبار رفيع، يؤكد الشعور الوطني، ويسهم في تعزيز الانتماء.

إننا نعلم أن بعض الدول العربية الحديثة قد تبنت قرارات ومشاريع تدخل في باب السياسة اللغوية، وتحقق بعض الأهداف، لكن هذه الدول لم تضع سياسات لغوية متكاملة تنتظم المجتمع كله، كما يجب أن تكون السياسات اللغوية، فكان من جراء ذلك أن طبقت هذه التعليمات في بعض الجهات، ولم تطبق في جهات أخرى، وكان من جراء ذلك أن بقيت بعض الأوضاع على حالها، واخترقت التعليمات في كثير من المواقع، دون رادع بفعل الضغط العولمي، كما شعرت هذه الدول بالعزلة عن التيار الكبير الذي يجرف البلدان العربية شرقها وغربها، وهو تيار التغريب الجارف الذي تقوده اللغة الأجنبية، فأصابها قدر من الاسترخاء والفتور.

وماذا عن المستقبل ؟

على الرغم مما أشرنا إليه آنفا من صعوبة التنبؤ بمستقبل أي لغة من اللغات، إلا أن النظرة إلى المستقبل بالنسبة للغة العربية لا بد أن تعتمد -بالمقام الأول- على ما يظهر لدينا من معطيات، فإذا نظرنا إلى عوامل التقوية التي من المؤكد أن حسن استعمالها يجعل اللغة العربية في وضع أفضل مما هي عليه الآن، وجدنا أن هذه العوامل في حالة خمول أو جمود، وأن الجهود التي تسهم في إنعاشها أو تنميتها وتطويرها تسير ببطء شديد، إن لم تكن متوقفة تماما. وإذا قرنا ذلك بالعوامل التي تضعف اللغة العربية، وتفت في عضدها وجدناها في حالة نشاط لا يهدأ، بل إنها تتطور تطورا مذهلا، في اتجاه المزيد من العمل على إقصاء اللغة ونفيها خارج الثقافة، وحصرها في مجالات محدودة، مستفيدة من الجهود الرسمية والخاصة، التي تعمل ليل نهار من أجل التحول بالمجتمع العربي إلى الثنائية اللغوية، لا بوصفها مرحلة تثاقف مع الآخر وإنما بوصفها مرحلة تفضي إلى الانتقال اللغوي، ثم التحول

اللغوي الكامل، وهو الأمر الذي بدأت بوادره تلوح في الأفق، وبناء على ذلك نستطيع القول بأن مستقبل اللغة العربية سيكون مستقبلا محفوفا بالمخاطر.

أن علامات الموت التدريجي- الذي أشرنا إليه سابقا -تلوح في الأفق، كما أن الموت بالامتصاص اللغوي قد بدأت مظاهره، فاستشراء الدخيل من المفردات التي لا حاجة لها البتة واضح مشهود، واستبدال كثير من التعبيرات الأجنبية بالتعبيرات العربية الجميلة كما في تعبيرات الملاطفة والمجاملة (شكرا، معذرة، أهلا وسهلا، إلى اللقاء، ونحوها)، دليل على مرحلة التحول اللغوي الذي يمر به العرب في العصر الحاضر.

والدراسات المعاصرة تكشف عن كثير من الانحرافات اللغوية التركيبية في لغة الإعلام المعاصر ومعظمها مستمد من الترجمة، كما أن الجمل الاصطلاحية والتعبيرات الأجنبية تغزو العربية يوميا، وهي على ما في بعضها من إغناء للجانب الأسلوبي في اللغة، إلا أنها في الوقت نفسه تنحرف بها عن الأصالة إلى الهجنة وتسهم في إبعادها عن الروح العربية الأصيلة.

يضاف إلى ذلك انصراف الشباب إلى كتابة العربية بالخط الأجنبي، وخلط العربية بالإنجليزية، فيما يسمى بالعربيزي، وابتكارهم رموزا أجنبية جديدة للكتابة العربية، وهو اتجاه يتكاثر بينهم، ولا يبعد أن تتحول الكتابة إليه إن استمر الأمر في الاستفحال، وقد علمنا عن صدور مجلة عربية بهذه اللغة الممسوخة.

إن هذا الذي ذكرناه يمثل نذر شؤم على العربية فصيحها وعاميها، ومع ذلك كله فإننا يحب ألا نيأس ولا نستسلم للأمر الواقع، لأن الوقت لم يفت بعد، وما يزال في الأمر فسحة للتفكير والتخطيط، وفي هذه الأمة أجيال أبية وعلماء عاملون، و مسؤولون مخلصون، وخلفهم سلطات تنفيذية، ومؤسسات ومراكز بحث تستطيع أن تعدل كفة التوازن ثم الرجحان ف لصالح لغتنا الشريفة، ونحن هنا ننبه إلى الخطر وندعو إلى اتخاذ الوسائل العاجلة لإيقافه، ومن ثم العمل على تمكين اللغة العربية من مفاصل الحياة والمجتمع وجعلها مهمة

في حياة المواطن العربي، ولا يكون ذلك إلا بتبني سياسات لغوية رشيدة، كما يحدث في الأمم التي تنشد التقدم، والحفاظ على هويتها المتميزة بين الأمم، ولذلك تفصيل يخرج عن نطاق هذا الموضوع.

أحمد بن محمد الضبيب

الرياض في :١٤٣٤/٤/٢٧ هـ

٢٠١٣/٣/٩م

الهوامش :

١- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، القسم اللغوي، بغداد: المجمع العلمي العراقي،١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ٧/ ٦٢ و٦٨.

٢- نفسه، ص ٦٨.

٣- جواد علي، ٧/ ٦٢.

٤- يوهان فك،العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د. عبد الحليم النجار، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ص ص ٨ - ٩.

٥- الأصبهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، بيروت: ١٩٦٠ م،٦/٦٨.

٦- نفسه، ص ٦٩.

٧- هناك خلاف بين العلماء حول أول من وضع الأسس الأولى للنحو العربي، ينظر «تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، تأليف محمد المختار ولد إباه،ط١.الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٣ وما بعدها.

٨- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد:شركة الرابطة للطبع والنشر،١٩٤٥م، ص ٢٥.

٩- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ٢/ ٥٤١.

١٠- مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر،١٣٨٦هـ/١٩٦٦م،ص ص ٥٧-٧٠.

١١-ابن منظور، لسان العرب، بيروت :دار بيروت للطباعة والنشر،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، المقدمة، ص ٨.

١٢- Graddol,David, English Next,London, British Council,2007,P.9)

١٣- Mestherie,Rajend and Others, Introducing Sociolinguistics, 2nd ed.Edinburgh,Edinburgh University Press,2009, P.234.

١٤- Wurm, Stephen, Language death and disappearance, Diogenes. http://dio.sagepub.com p.2

١٥- ibid, .P.7

١٦-كالفي، لويس جان، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، بيروت :المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٩م، ص ص ٢١١-٢١٢.

١٧- Wurm, Stephen, Language death and disappearance, Diogenes.http://dio.sagepub.com p.7

١٨- كالفي،لويس جان، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د. حسن حمزة، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م، ص ٢١٤.

١٩- Macky,William , Forcasting the fate of languages,Languages in a globalising world,ed. Jack Maurice and Michael Morris,London, Cambridge university press,2003,p64.

٢٠-الهلال،ج١ و٢، مج٢٨، أكتوبر/نوفمبر ١٩١٩م-محرم وصفر ١٣٣٨هـ، ص ٧٢.

٢١-الهلال، ٢٠١/٨٢ .

٢٢-الهلال، ٢٠٣/٢٨.

٢٣-الهلال،٢٠٥/٢٨ .

٢٤-الهلال، ٢٨/٢٠٨ (بتصرف).

٢٥-الهلال، ٢٨/٢٩٧.

٢٦-الهلال، ٢٨/٢٩٩.

٢٧- الهلال،٢٨/٣٠٠.

٢٨-الهلال

٢٩-الهلال،٢٨/٣٠١.

٣٠-الهلال، ٢٨/٣٠٢.

٣١-جبران،جبران خليل، البدائع والطرائف، بيروت: المكتبة الثقافية، بلا تاريخ، ص ٨٣.

٣٢-نفسه، ص ص ٨٣-٨٤.

٣٣-نفسه، ص ص ٨٦-٨٧.

٣٤-نقله موقع اللغة العربية تعلما وتعليما، سنة ١٤٣١هـ، عن مجلة المنهل، ع ٤ ،مج ٥٤ ،شوال و ذو القعدة ١٤١٣ هـ/إبريل ومايو ١٩٩٣م

٣٥-جريدة الرياض، العدد ١٥٨٣١، أول ذي الحجة ١٤٣٢هـ./٢٨ أكتوبر ٢٠١١م.

٣٦- نقلا عن موقع « كل الأردن»، الذي نقل التقرير كاملا بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢٣.

٣٧- Graddol,David, English Next,London, British Council,2007,P.60

٣٨-اشتق اسم اللغات الكريولية من الكلمة الأسبانية crillo وتعني (مدجن)، وقد توسع معناها ليضم التنوعات الكاريبية المتصلة باللغات الفرنسية والأسبانية والبرتغالية، والمصطلح الآن لا يختص بمنطقة جغرافية أو أسرة لغوية (عن فلوريال كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة د. أحمد عوض، الكويت : عالم المعرفة،٢٠٠٠م، ص ٢٦٣).

٣٩- نقلا عن Gordon, Philips,Globalization and French cultural Identity,French Politics,Culture & Society,Vol.19,No.1, Spring 2001,P.34.

٤٠- نفسه.

٤١-نفسه.

٤٢- ,Arabic the language of future,Blitz,vol.7 issue 43, Dhakha,Nov.7,2012

٤٣-صالح، محمود إسماعيل،اللغة العربية ومنزلتها بين لغات العالم،بحث غير منشور، ص ١٠.

٤٤- Graddol,David, English Next,London, British Council,2007,P.46.

٤٥-كتاب «لننهض بلغتنا»، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ص ص ٣٢٦-٣٢٧.

٤٦-نقلا عن سعيد أحمد بيومي، أم اللغات،القاهرة:مكتبة الآداب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ١٤٤.

٤٧- الضبيب، أحمد بن محمد، بحث بعنوان: «علاقتنا باللغة الأجنبية، ضمن كتابه» اللغة العربية في عصر العولمة»، الرياض: ط٢، مكتبة العبيكان ٢٠٠٦م، ص ص ٣٣-٨٢.

٤٨- تنظر على سبيل المثال وقائع مؤتمر علم اللغة الدولي الثالث بعنوان «التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي» الذي عقد في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ٢٠٠٦م.

وكذلك وقائع مؤتمر «لغة الطفل العربي في عصر العولمة» الذي أقامه المجلس العربي للطفولة والتنمية، في القاهرة سنة ٢٠٠٧م. ولنا فيه بحث بعنوان «لغة الطفل العربي في عصر العولمة» مجلد وقائع المؤتمر، ص ص ٦٦٩-٦٨٧.

الفهرس

المملكة العربية السعودية
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
هاتف: ٢٥٨١٠٨٢ ١١ ٩٦٦+
ناسوخ (فاكس): ٢٥٨١٠٦٩ ١١ ٩٦٦+
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
www.kaica.org.sa